الوحدة السابعة

مستخدمو وسائط الاتصال الجديدة

المفهوم والخصائص

تمهيد: بقدر ما حملت الثورة المعلوماتية من تغيرات في الصناعات الإعلامية، وأنماط استهلاك المعلومات في سياق عولمة المعرفة والإعلام، فقد طرحت العديد من الإشكالات على مستوى إنتاج التقنية والمضمون، أو على مستوى استخدامات التقنيات الحديثة، كما أثارت الكثير من الإشكاليات المتجددة حول المضامين الإعلامية والثقافية الجديدة وتطور أساليب النشر والتشارك في المضامين، وتحولات الفضاء العام في علاقته بالحريات الإعلامية.

فقد ساهمت الوسائط الجديدة، على اختلافها، في إحداث تغييرات راديكالية في أنماط التواصل البشري، بل وساهمت في خلق فضاءات تواصلية جديدة، تتقاطع أو تختلف عن الفضاءات التواصلية التقليدية، فبعد أن كان الفضاء الاتصالي يتحدد في بعدٍ مكانيٍ وزمانيٍ محددٍ، ووفق سيرورة اتصالية محددة، خلقت الوسائط الجديدة فضاءات تواصلية افتراضية تتجاوز بعدي الزمان والمكان أين يمتزج الواقعي بالافتراضي في علاقات غامضة ومتشابكة

وشكّلت بذلك هذه الوسائط الجديدة منظومة جديدة تختلف عن المنظومة التقليدية وتحقق مجالا تفاعليا يتحول الفرد فيه باستمرار ما بين موقعي الإرسال والتلقي، وبهذا صار الحديث عن مستخدمي الوسائط الجديدة في ظل فضاءات وظواهر الاتصال الجديدة أكثر مواءمة للبيئة الاتصالية الافتراضية بصفتها بيئة منتجة لذاتها والفاعلون فيها هم المستخدمون أنفسهم يتقاسمون سلطة البث والتلقي ويتحكمون في المضامين وأشكالها.

1-الوسائط الجديدة والمستخدم: مقاربة مفاهيمية

ويبدو أن البيئة الإعلامية الجديدة تهتم بالمستخدمين الذين "يتمتعون بقدر أكبر فيما يرونه ومتى يرونه" وهذا يعني أن المستخدم لديه درجة أكبر من الاختيار لمحتويات الوسائط الجديدة، ولديه أيضا القدرة على الاختيار عند استخدامها، حيث يتحول ميزان نشاط الجمهور من المتأثر إلى المتلقي إلى الاستخدام والتفاعل

ولإيضاح المفهوم سنتطرق إلى جزئيه وهما **الوسائط الجديدة** و**المستخدم**

أ– الوسائط الجديدة New media: قبل التطرق إلى مفهوم الوسائط الجديدة، ينبغي علينا تحديد معنى الوسيط medium أولا والوساطة وهي الربط بين طرفين أو الوصل بين طرفين، والوسيط في اللغة مشتقة من وسط، وسيط وسطا وسطة المكان حبس وسطهم. كما يقال الواسطة الوسيط، العلة والسبب.

أما في الاصطلاح فيرى زين العابدين أن مفهوم وساط الإعلام الجديد يعني طائفة من تطبيقات الحاسب التي يمكنها تخزين المعلومات بأشكال متعددة تشمل على النصوص والأصوات والرسوم والصور الساكنة والمتحركة وعرض هذه المعلومات بطريقة تفاعلية وفقا لمسارات يتحكم فيها المستخدم

وتعتبر الوسائط الجديدة نتيجة المزاوجة بين وسائل الإعلام السمعية والبصرية والاتصالات السلكية واللاسلكية **télécommunications** والصناعات الالكترونية الإعلام الآلي وهو المجال المسمى la télématique أو télécommunication informatique وهو مصطلح ارتبط ظهوره في الأدبيات الإعلامية بتقرير قدمه كل من سيمون نورا Simone Nora وألين ماينAline Mayne بشأن إدماج الهاتف والحاسوب والتلفزيون في جهاز واحد، وأطلقا على هذا الإدماج تسمية communication télématique واعتبرا ذلك ثورة اتصالية عدها دانيال بيل الثورة الرابعة من ثورات التفاعل الاجتماعي في تاريخ المجتمعات الإنسانية بعد ثورات الكلام والكتابة والطباعة.

ويقوم المفهوم الحديث للوسائط على ترميز رسالة تواصلية متعددة المنبهات وتخاطب أكثر من عضو حسي واحد، وأن هذه الرسائل تقدم للمتلقي عدة خيارات للتعرض للمضمون (كأن يتضمن النص إمكانية الاستماع إليه لمن لا يريد القراءة)، فالملتيميديا multi media عبارة عن مصطلح لوصف اتحاد البرامج والأجهزة التي تمكن المستخدم من الاستفادة من النص والصورة والصوت والعروض والصور المتحركة ومقاطع الفيديو...

إن تعريف الوسائط المتعددة بوصفها مجموعة من التكنولوجيات التي تسمح بإدماج الكثير من المعطيات من مصادر مختلفة (نصوص، صور، أصوات) لم يعد تعريفا كافيا، لأن هذه التكنولوجيات ترتبط فيما بينها برابط معلوماتي وبهذا المعنى، فإن الوسائط المتعددة هي أكثر من تجميع لوسائل إعلامية متعددة، حيث يحيل بالأحرى على اندماجها بفضل المعلوماتية

كما يُقصد بالوسائط الجديدة في علوم الإعلام والاتصال تلك الوسائط والتقنيات الحديثة التي ظهرت مع التطور المذهل لتكنولوجيات الإعلام والاتصال والتي اقتضت بروز وسائط اتصالية مثل الحواسيب واللوحات الالكترونية، والهواتف الذكية المختلفة عن وسائل الإعلام التقليدية كالصحافة المكتوبة والإذاعة والتلفزيون. والمتغير الرئيس الذي يتأسس عليه مصطلح الوسائط الجديدة هو حداثة هذه الوسائط في مقابل الوسائط التقليدية، واعتمادها بالدرجة الأولى على تقنيات الحاسوب وتطبيقاته.

وقد عرّفها جاك سي على أنها وسائط الاتصال التفاعلية التي تختلق وتبدع، تخزن وتنقل المحتوى بطرق مختلفة من خلال وسائط سمعية أو بصرية

إذن يمكننا تعريف الوسائط الجديدة على أنها جميع تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة من أقمار صناعية، أجهزة استقبال، حواسيب ولوحات الكترونية، وغيرها من التقنيات التي تتيح للمستخدم التفاعل بشكل إيجابي مع المضامين الاتصالية.

ب- المستخدم: لم يستخدم Michel De Certeau عبارة "مستخدم" في أعماله للدلالة على الشخص الذي يستخدم وسيلة الإعلام، بل استبدلها ب"الاستخدامات" على صيغة الجمع، والتي تعني طريقة العمل أو عمليات الاستعمال، حيث المستهلك تشط وإيجابي في إنتاج المعنى واستخدمها هنا للتعبير عن الذات التي تستخدم التقنية انطلاقا من خبراتها وتجاربها السابقة، حيث تبدع في استخدامها للآلة بعيدا عن منطق التقنية.

وتعتمد عملية تحديد المستخدم (باعتباره كائنا اجتماعيا، عضوا في شبكة علاقات اتصالية على قوة الدفع المعلوماتي في مد جسور هذه العلاقة) بلا شك عملية تتطلب أكثر من مجرد استعراض المعاني اللغوية والتقنية المشكلة له، فهذا المفهوم يحيل إلى إعادة الترتيب لطرائق التفكير، بناء على تغاير المواقع فيما بين الإنسان والبيئة المحيطة به، هذه الثنائية "الإنسان/المحيط" في الواقع لم تعد صالحة كتراتبية ينشأ عنها الفكر والسلوك، فالقاعدة أصبحت تُبنى على ثلاثية إلزامية الإنسان- الآلة- البيئة، هذا التوسط للآلة هو الذي قلب إلى "أنا أفكر ب" أي من خارجية الموضوع إلى داخليته.

ففي البيئة الوسائطية الجديدة لدينا أنواع جديدة من الجمهور تظهر: تفاعلي واستشاري، مما يشجع على التفاعل التفاوضي بين وسائل الإعلام والجمهور، وبالتالي موازنة قوة الاثنين، وهنا نتحدث عن استحضار فكرة "نموذج التوازن" أين مستخدم الوسائط الجديدة لديه وقت ودافع أقل.

نظرا لأن التطور يأخذ تأثيرا متنوعا في الوسائط الجديدة، مما يؤثر في وقت واحد على التقارب والاختلاف، جعل بعض الباحثين يتحدثون عن "نهاية الجمهور" ويجادل البعض الآخر بأن الجمهور انتهى ولكن المستخدمين موجودون في أماكنهم، وبالنسبة لمجموعة أخرى فإن "الجمهور موجود في كل مكان وفي لا مكان"

إن عملية تحديد مفهوم المستخدم User (باعتباره كائنا اجتماعيا عضوا في شبكة علاقات اتصالية تعتمد على قوة الدفع المعلوماتي في مد جسور هذه العلاقة) بلا شك عملية تتطلب أكثر من مجرد استعراض المعاني اللغوية والتقنية المشكلة، لذا ينبغي الغوص في الأصول الفلسفية والإيديولوجية العميقة له، ذلك أن ميلاد أية ظاهرة جديدة لابد وأن تكون نتاج القوى والعوامل الخاصة، والمرتبطة بطبيعة الظروف المختلفة التي تظهر فيها.

من الشائع عند من اهتموا بتحليل الظاهرة ربطها نسقيا بمختلف الفلسفات ووجهات النظر القائمة على تحليل الظاهرة في نطاق روح عصر ما بعد الحداثة، حيث أن هذه الذات (ذات إنسان ما بعد الحداثة ومنه المستخدم) كما يقول سامي أدهم محصورة في جوانية الإنسان، لقد أزيلت خرافية الأنا الداخلية، فالموضوع المحايث أصبح يتعلق بالذات الصنعية المعلوماتية، وبالكم المعلوماتي وببنوك المعلومات، وبوسائل الاتصالات والاتصالية عن طريق العقول الالكترونية، والنتيجة أن الأنا التي اخترعها كانط "أنا أفكر أنا موجود" كجوهر ثابت يتعامل مع أشياء العالم الجافة، صارت قطبا متشخصا خاضعا للنص العظيم التي اخترعته التكنولوجيا المتفوقة بالصورة والصوت والذكاء الاصطناعي والتوهم الرقمي.

وبهذا فمستخدمو الوسائط الجديدة هم مجموعة الأفراد الذين يستطيعون متابعة وسائل الإعلام التقليدية إضافة إلى استخدام تكنولوجيا الاتصال الحديثة من خلال الوسائط الجديدة من أي مكان اعتمادا على شاشاتها وفي أي زمان اعتمادا على شبكاتها.

2- **خصائص الوسائط الجديدة ومستخدمي الوسائط الجديدة:** لفهم وربط خصائص مستخدمي الوسائط الجديدة علينا أن نفهم أولا خصائص الوسائط الجديدة لنسقط هذه الخصائص على مستخدميها

تتعدد خصائص ومميزات تكنولوجيا الوسائط الجديدة، بتعدد الحوامل المعتمدة في عملية تخزين وإرسال وتوزيع المعلومة، وبسعة معناها المرتبط أساسا بمجموع الأدوات المتعلقة بعمليات الإنتاج والتخزين والمعالجة وتبادل المعلومات الرقمية مهما كان شكلها، فبجمعها بين ثلاث مجالات تقنية: الاتصالات عن بعد والسمعي البصري والإعلام الآلي، تلعب تكنولوجيا الوسائط الجديدة، على اختلافها، على معادلة رئيسية قوامها متغيران رئيسيان: **متغير الزمان ومتغير المكان،** فالتكنولوجيا تهدف بالأساس إلى تسريع وتيرة الاتصالات وتقليص وتجاوز الأمكنة.

ويمكن إضافة متغير رئيس إلى هذه المعادلة وهو متغير علاقة الفرد بالآخر، فالتكنولوجيا عموما وعلى تعددها أحدثت، بفضل خصائصها، تغييرات على علاقة الفرد بالآخر، إن تقريبا وتوطيدا للعلاقات أو مباعدة وتنافرا لها.

ففي دراستها عن الأشكال التي يتفاعل بها الأشخاص مع الوسائط التكنولوجية، ذكرت الباحثة الاسترالية في علم الانثروبولوجيا جونفياف بل Jonviav Bell أن التكنولوجيا، وحتى تؤثر في الحياة يجب أن تخضع للقواعد الثلاث: **تغيير علاقتنا بالزمان، وعلاقتنا بالفضاء، وعلاقتنا بالغير أو بالآخرين**

وفي هذا السياق يمكن حصر خصائص تكنولوجيا الإعلام والاتصال في:

- تجمع كما مر معنا بين ثلاث مجالات تقنية: الاتصالات عن بعد، السمعي البصري، والإعلام الآلي.
- المرونة في شكلها وفي مضمونها، واستعمالاتها، فللصحافة مثلا نسخة الكترونية وأخرى مطبوعة.
- عملت على زوال الحدود بين الكتابة والصوت والصورة.
- تتيح التفاعل الفوري والمتعدد لمستعمليها.
- جعلت المعلومات، بكافة أشكالها، لفظية، رمزية....في متناول الجميع، بدرجات متفاوتة طبعا، مع تفتيت الجمهور وتجزئته إلى قطاعات منسجمة.
- تتميز بالسرعة في معالجة المعلومات ونشرها وبذاكرة أنظمة معالجة ذات قدرات تخزينية هائلة، بفضل الرقاقات الالكترونية والأمار الصناعية والألياف البصرية.
- انخفاض تكلفة الاستقبال والمعالجة والتخزين.

كما يمكن تلخيص أهم ما تتميز به تكنولوجيا المعلومات في:

- **تقليص الوقت**: فالتكنولوجيا تجعل كل الأماكن الإلكترونية متجاورة، مثال على ذلك شبكة الانترنت التي تسمح لكل واحد منها بالحصول على ما يلزمه من معلومات و معطيات في وقت قصير مهما كان موقعه الجغرافي.
- **رفع الإنتاجية**: تعمل تكنولوجيا المعلومات على رفع الإنتاجية حين يتم استعمالها بشكل جيد و فعال.
- **المرونة** : تعددت استعمالات تكنولوجيا المعلومات لتعدد احتياجاتنا لها، أبسط مثال على ذلك الحاسوب الذي نستعمله في حياتنا اليومية والعملية، فهو أداة للكتابة والقيام بمختلف العمليات المعقدة مثل الاتصال عن البعد أو القرب .....الخ.كما أنها تمنح للإنتاج كفاءة عالية وهذا بكسب تكنولوجيا المعلومات مرونة كبيرة بالمقارنة مع آلة محدودة الاستعمال.
- **التمتمة** la miniaturisation ويقصد بها الأسرع والأصغر والأقل تكلفة وهي من أهم مميزات تكنولوجيا المعلومات فهي تتميز بالتحسن الدائم في سرعتها وسعة ذاكرتها.
- **التفاعلية**: وهي درجة التبادل في الأدوار بين المرسل والمستقبل وإمكانية مشاركة المستقبل في صياغة العملية الاتصالية.

– **اللاتزامنية:** غير محددة بالوقت : يعني أنه يمكن استقبال الرسائل في أي وقت كحالة البريد الإلكتروني وهذه الخاصية أي إمكانية عدم تلقي المضامين الاتصالية الالكترونية في الوقت المحدد هي التي زادت من نسب استخدام الوسائط الجديدة، بعكس الوسائط التقليدية المرتبطة بزمان محدد.

– **اللامركزية:** هي خاصية تسمح باستقلالية التكنولوجيات الجديدة التي تملك استمرارية عن العمل في كل الحالات يستحيل على أي جهة ما أن توقف الأنترنت لأنها شبكة اتصال بين الأشخاص والمؤسسات، وخاصية اللامركزية هي التي أكسبت الوسائط الجديدة صفة العالمية وأنتجت ما يسمى بعولمة الاتصال والعولمة الثقافية، لانفتاح الفعل الاتصالي على كافة ربوع العالم، وتخطيه للحدود الزمانية والمكانية. وباعتبار العالمية هي الفضاء التي تعمل فيه الوسائط الجديدة فهي تسمح بتدفق رأس مال المعلومة في عاصمة المعلومات، كما أن لا مركزيتها سمحت بازدهارها في البيئة العالمية خاصة في التبادل التجاري الذي يسمح بأن يتجاوز مشكل الزمن والمكان

– **الحركية** : يعني أن المستعمل يمكن له أن يستفيد من الخدمات أثناء تنقلاته مثل الحاسوب المحمول والهاتف النقال

– **عملية تحويلية:** يمكن لها أن ترسل معلومات من وسط إلى آخر مثال إرسال رسالة مسموعة إلى رسالة مكتوبة أو منطوقة مثل القراءة الإلكترونية، أو تحويل المحاضرات المكتوبة إلى صور في الهواتف المحمولة وغيرها من إمكانات التحويل.

ويرى ألفن توفلر في كتابه " تحول السلطة بين العنف والثورة والمعرفة " أن الوسائط المتعددة لها ثمان خصائص هي:

– **التفاعلية:** وتطلق على الدرجة التي يكون فيها للمشاركين في عملية الاتصال تأثير على الأدوار ويستطيعون تبادلها.

– **اللاجماهيرية:** أي أن الرسالة الاتصالية من الممكن أن تُوجّه إلى فرد واحد، أو إلى جماعية معينة، وليس إلى جماهير كما كان في الماضي.

– **اللاتزامنية:** وتعني إمكانية إرسال الرسائل واستقبالها في وقت مناسب للفرد، ولا تتطلب من كل المشاركين أن يستخدموا النظام في الوقت نفسه.

– **القابلية الحركية:** حيث يمكن لمستخدمها الاستفادة منها في الاتصال من أي مكان.

– **قابلية التحويل:** وهي القدرة على نقل المعلومات من وسيط لآخر.

- **قابلية التوصيل**: وهي إمكانية توصيل الأجهزة الاتصالية بتنويعة كبرى من أجهزة أخرى، وهذه هي السمة البارزة للوسائط المتعددة باعتبارها توليفة ضخمة لأجهزة متعددة.

- **الشيوع والانتشار**.

- **التدويل أو الكونية**: إن البيئة الأساسية الجديدة لتكنولوجيا الإعلام والاتصال هي بيئة عالمية دولية، حيث اتسعت وتعددت مسارات المعلومة بإدماج الشبكة العنكبوتية في قطاع الإعلام والاتصال لتصبح بذلك القرية الكونية مسرحا للتداول النوعي والفائق السرعة للمعلومات.